ولكن تغيرت خلقتها عن الشكل المألوف

ولا يزال المستخرج من هذا العنصر قليلاً جداً. وثمنهُ واحشاً كان ثمن الدرهم منهُ نحو ١٣٠٠ جنيه . ولا بدَّ من ان يكثر استخراجهُ اذا ثبتت منافعهُ فيرخص ثمنهُ

والظاهر ان الاشعة التي وراء البنفسجي من اشعة الطيف تفعل فعل اشعة الراديوم فانها كلها من نوع واحد كما ترى من خطبة السر اوليفر لدج المدرجة في هذا الجزء اي مؤلفة من ذرات دقيقة من الكهربائية السلبيَّة . وترى في الشكل الخامس والسادس صورة امرأة عمرها ٢٨ سنة كانت مصابة بالذئب الاكال في وجهها الايسر وجانب انفها ممَّا يلي فعولجت بالاشعة التي وراء البنفسجي فشفيت في ستة اشهر . فاذا ثبت ان هذه الاشعة تفعل دائماً فعل اشعة الراديوم فانها تغني عنهُ . وسنرى في العام المقبل من غرائب هذا العنصر وهذه الاشعة ما لم يحلم به ابناء العصور الغابرة

بيروت وحوادثها

بيروت ثغر الشام وزهرة المدائن العثمانية كانت دار المدارس ومرضعة العلوم في عهد اليونان والرومان ثم تعاونت القوى الطبيعيَّة والمشاكل السياسية على تخريبها فهُدمت اركانها ودُرست اعلامها حتى لم يبقَ منها في اواسط القرن الماضي الاَّ فرضة صغيرة . وعادت الايام فبسمت لها فنمت وابتعت رغماً عن الادواء التي خربتها فزادت عمارتها اضعافاً كثيرة ونشأت فيها خمس مدارس عالية ومدرستان كليتان ومطابع كثيرة لا تفوقها مطبعة في الشرق حتى الآن . وانشأ كتَّابها الجرائد السياسية والمجلاَّت العلميَّة واقام تجارها الدور الصناعية وفتحوا البيوت التجارية في الممالك الاوربيَّة . ثم الحم الاستبداد السنة جرائدها وضيَّقت المراقبة حلقات مطابعها وميزت السياسة بين سكانها لتفريق كلمتهم وجاءها فقراء المأمورين وقد ابتاعوا مناصبهم ابتياعاً بالرشى وغرضهم الاول ابتزاز الاموال لايفاء ما استدانوا ففترت الهمم وضعفت العزائم ونفرت القلوب . وتوالى العفو عن بعض الجناة فزادوا عتوًّا وضُيِّق على البعض الآخر فلجأوا الى الفرار وتربصوا بمن عاداهم الشر . وما زالت هذه الخطوب تتوالى الى ان امتلات كاس الحقد ففاضت وانسدَّ حلق البركان فثار . فتناوش السكان بعضهم بعضاً يقسمهم الدين ولا يزعهم وازع واضطرَّت الفئة الكبرى منهم ان تخرج من المدينة وتلجأ الى الجبال لانها غير مسلحة وتمَّ غرض محبي التفريق وزارعي بزور الشقاق

ولقد كنّا كلما كتبنا فصلاً عن مدائن الشام وخرائبها وما كان لها من العظمة والشأن في القرون الخوالي وما صارت اليهِ في هذا العصر تذكر قصّة البومة التي طلبت صداقة مئة مدينة خربة فوعدها خطيبها بها ما دام سوء الاحكام والظلم سائدين في البلاد . وهذه الحقيقة يعلمها الجميع ويجاهر بها كلُّ من لم يُغلُّ الاستبداد قلمهُ وقد اعرب عنها الشاعر المجيد نقولا افندي رزق الله في قصيدة بعث بها الينا يقول فيها

سلامٌ على بيروتَ لولا التحزُّبُ ... وحكّامُ سوءٍ أفسدوها وخرَّبُوا
هموا قلّدوا جهالها فوق جهلهم ... سلاحًا وهم نادوا بجمعهم اضربوا
يقاتلُ فيها البعضُ بعضًا كأنهُ ... عدوٌّ عليهِ قتلهُ الدينُ يوجبُ
ومن عجبٍ ان يغلب الجهلُ بلدةً ... لها من سلاح العلم ما ليس يغلبُ
إذا ذكروا في الشرق فضلاً لكاتبٍ ... فإنَّ اليها ذلك الفضلَ ينسبُ

الى ان قال

افي كلّ يوم يارجالَ جنابةٌ ... تساوى بها منكم بريءٌ ومذنبُ
أيرضى بهذا دينُ عيسى واحمدٍ ... وفي كل دينٍ زاجرٌ وموبّخُ
لكم كل يومٍ عبرةٌ لو أردتمو ... تصانُ بها تلك الدماء وتحجَبُ
وحسبكمو من مالكم ما خسرتمو ... وما ترتشي الخوّانُ منهُ وتكسبُ
لعمري اذا غادرتمو جهلاءكم ... تجرّرُ أذيالَ الشرور وتسحبُ
فليس لكم مندوحةٌ من ثلاثةٍ ... يجيء بها هذا البلاء ويذهبُ
نوًى او حياةٌ بالمذلة أو ردًى ... وليس وراء الموت للحرّ مطلبُ

ومعلوم انهُ لا يريد بالحكام الاَّ الفريق الطاغي منهم الذي يقصد التفريق بين السكان إمَّا سياسةً وإما طمعًا لاننا واثقون ان ليس كل الحكام من هذا القبيل بل منهم فريق كبير يبذل جهدهُ في جلب المنافع ودرء المفاسد وان المدن التي صبرت على نوائب الدهر حتى الآن لا يخشى ان يودي بها سوء الاحكام ولو اضعف جسمها واخّر نموها . ولا بدَّ لها من ان تتغلّب عليهِ اخيرًا حين يعلم السكان ان مصلحتهم تقوم باتفاقهم وان الجامعة الوطنية يجب ان تكون فوق كل جامعة اخرى وبها يعلو شأنهم وشأن بلادهم

والذين يهمهم امر بيروت وسائر بلاد الشام ويقابلون حالها الحاضرة بما كانت عليهِ منذ الفي عام او يقابلون حالها وحال القطر المصري الآن بما كانا عليهِ منذ عشرين عامًا لا يسعهم الاَّ الاعتراف بان احوال بلاد الشام على غير ما يرام وان حسن الادارة وانتظام الاحكام

يسعدان البلاد في سنين قليلة . ولا يقفون عند هذه المقابلة وهذا الاستنتاج بل ينتقلون الى الاشارة بالعلاج الذي يعالج بهِ هذا الداء فمنهم من يشير بضم ولاية بيروت الى جبل لبنان واشراكها في امتيازاتهِ ومنهم من يتوسَّع ويطلب ان تجعل ولاية سورية وبيروت ولاية واحدة مع جبل لبنان وتعطى نوعاً من الاستقلال الاداري تحت سيادة الدولة العلية

وقد كنا نطالع في هذه الاثناء تاريخ لبنان الذي وضعهُ الكاتب الانكليزي الشهير الكولونل تشرشل بك فوجدنا فيهِ كلاماً لمحمد علي باشا جد العائلة الخديوية يحلُّ مسألة الشام حلاً يحسبهُ البعض اصح من غيرهِ واحسن عائدة على الدولة العثمانية . فان الامير بشير الشهابي لجأ الى محمد علي عزيز مصر منذ ثمانين سنة هرباً من ظلم والي الشام ووالي عكاء وطمعهما الاشعبي فانزلهُ محمد علي على الرحب والسعة وسعى لهُ في ارجاع صديقهِ عبد الله باشا الى ولاية عكاء وارجاعهِ هو الى ولاية لبنان . وقبل ان برح الامير الديار المصرية استدعاهُ محمد علي اليهِ واطلعهُ على ما ينويهِ فقال "ان بلاد الشام كانت متصلة ببلاد مصر وكانت البلادان تسعدان حينما تكونان لحاكم واحد اما الآن فقد نزفت خيرات الشام ونقوَّضت اركانهُ واوصلهُ جشع الولاة الى الفقر المدقع وصيَّر مروجهُ الخصيبة قفاراً جوداء

"ولبنان لو انتظمت حكومتهُ لصار مقر السعادة والهناء ولم يكن لهُ مثيل في بلاد المشرق ولكنهُ استحال بسوء سياستهم الى دار حرب دائمة . وبلاد الشام كلها تحوَّلت من رغد العيش ورفاه الحال الى الفقر والضيق بل كادت تعود الى حال البربرية " . ثم وصف حال القطر المصري وما بلغ اليهِ من سوء الحال قبل ان تولاَّهُ وما صار اليهِ بسعيهِ اذ اصلح ريهُ واستثمر خيرات ارضهِ وانشأ فيهِ المعامل الصناعية وكل ما يسعدهُ ويرقى بهِ الى درجة ممالك اوربا الفائقة في عمرانها . وان سعيهُ هذا عُرف لدى جلالة متبوعهِ السلطان الاعظم فشكرهُ عليهِ وامرهُ ان يعد الجنود لاخماد ثورة المورة ولا يبعد انهُ اذا افلح في اخماد تلك الثورة يستدعيهِ لاراحتهِ من عناء الاحكام في بلاد الشام حيث نهب الولاة الرعية وافسدوا حالها واضطروها الى اثارة الحروب والفتن والاستمرار عليها

وقال لهُ اخيراً انهُ مصمم على ضم القطر السوري الى القطر المصري وطلب منهُ ان يكون مستعدًّا لذلك فينجدهُ برجال لبنان اذا دعت الحال (انظر تاريخ لبنان الفصل ٢٥ من المجلد الثالث)

هذا ما كتبهُ الكولونل تشرشل منذ نحو ستين سنة ولا بد من ان يكون قد سمعهُ من الذين سمعوهُ من محمد علي او من الامير بشير . وهو حلٌّ آخر للمسألة السورية يحلم بهِ كثيرون اما نحن فنستبعدهُ جدًّا في الاحوال الحاضرة ولم نذكرهُ هنا الاَّ للدلالة على امر نجاهر بهِ

دواماً وهو ان صلاح البلاد يصلاح حكامها ولاسيما ان توفرت فيها الخيرات الطبيعية كبلاد الشام وكان اهلها ذوي همة ونشاط كاهالي الشام . ولو كان الحكام من البلاد نفسها لقلنا ان صلاحها وفسادها انما هو باهاليها لان الحكام منهم ويستحيل ان يكونوا ارقى من اخوانهم او احط اما والحاكم من غير الاهالي فيتعذّر على الاهلين اصلاح احوالهم اذا جرى الحاكم على ضد ذلك ولم يكن في وسعهم اصلاحهُ ولا عزلهُ . ولكن ما من داء اجتماعي الاَّ وله دواء بالصبر والتبصّر

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام والشاي والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

التمريض الجراحي

الفصل الاول في الميكروبات والتقائها

كثر الكلام على الميكروبات في هذه الايام ولكن قلَّ من يعرف عنها شيئاً غير انها احياء صغيرة جدًّا ولا يعلم مقدار صغرها واختلاف انواعها الاَّ نفر قليل من العلماء . والذين ينظرون الى اجرام السماء بالتلسكوب ويرون عظمتها وكثرة عددها يستصغرون انفسهم وارضهم ويحسبون ان الخالق لا يلتفت اليهم ولكنهم اذا تركوا التلسكوب ونظروا بالميكرسكوب رأوا من الاحياء الصغيرة ما يعد بملايين الملايين في كل ما حولهم ورأوا الانسان اكبر واعظم من مخلوقات كثيرة

وهذه الاحياء الصغيرة او الميكروبات تعيش في الاوساخ والاقذار وتدخل الجسم من الجراح او تدخلهُ بالشرب مع الماء او بالتنفس مع الهواء وحيثما جرح الجسم صار فيهِ باب لدخول الميكروبات فتدخل وتسبب الالتهاب والصديد والحمّى واذا لم تقاوم شملت الجسم كلهُ وسمّت الدم وسببت الموت

منذ ٣٦ سنة لم تكن تعمل عملية جراحية من غير ان يحدث فيها تقيّح قبل شفائها . ولم